القسم الثالث

ماذا تحقق لأمة الخير في الدنيا

من بيت محمد ﷺ المتواضع جداً في مكة كانت النقلة الثانية بعد أن بدأت النقلة الأولى بغار حراء بعيداً عن أعين الناس وحتى تجمعاتهم ومن كلمات قليلة حفرت في قلب النبي لتكون اللبنة الأولى – الأقوى والأشد والأوضح والأفصح – لحضارة الإسلام . من هذا البيت المتواضع .. استجاب جميع سكانه إلى دعوة الإسلام .. محمد ﷺ حملها من غار حراء إلى بيته فآمنت زوجه خديجة ، ومولاه زيد وابن عمه علي .. ومن ثم خرجت الدعوة من هذا البيت المتواضع جداً والهادئ جداً ، والذي كان مثالاً للعفاف والأمانة والصدق في محيط مكة خرجت إلى أقرب المقربين ، فكان العنصر الخامس أبا بكر من خارج البيت ، وكما طلب موسى عليه السلام أن يبعث الله أخاه هارون وزيراً لمساعدته ودعمه : ﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧)** ﴾ [طه] .

– جاء التكليف لموسى ، فأعطيَ المعجزات أولاً ، وحدد له الهدف وهو الذهاب إلى فرعون ، ووعده بآيات كبرى " معجزات تعينه على المجابهة والمجادلة والحديث .

وهنا وقف موسى مستجيباً للتكليف ولكن بشروط أخرى ، أن يشرح الله صدره ، وييسر أمره ويحلل عقدةً من لسانه . ثم طلب السند والعضد أخاه هارون تحديداً ليشد به أزره ،ويشركه في أمره فاستجاب الله تعالى بأن بعث هارون وزيرا ونبياً .وذلك ليعبدا الله تعالى ويسبحانه،ويتعاونان على مهمة الرسالة، فاستجاب الله تعالى وأجيب موسى لما سأل .

– أما محمد ﷺ فليس هناك معجزة بداية ، والهدف للناس كافة بشيراً ونذيراً ، وفيهم من الفراعنة والطغاة والطواغيت الكثير ، ولم يطلب الرسول من يساعده ، فلم يلتفت لهذه القضايا ابتداء ، لأنه فقط أراد أن يثبت أنه رسول ، وحتى هذه خشي أن يكون كاهناً في بداية الأمر . رغم أنه رأى جبريل وأكد له أنه رسول ، أما موسى فكان الخطاب مباشراً بينه وبين ربه . وصدق أهل البيت ، الزوجة ، والمولى ، والغلام ، وأول من تلقى النور من خارج هذا البيت أبو بكر ﷺ .. وبدأت أشعة الدعوة وبصبر وثبات وسرية تامَّة ، بدأت تخترق حجب الظلام ، وتدخل قلوب رجال صدقوا وآمنوا ، وكان تصديقهم ، وبغير المعجزات أمرا عجيباً . فقد كان لكل نبي معجزة إلا محمد ﷺ ، قد كانت معجزته القرآن ، وبعض آيات منه تنزلت ابتداءً . واخترقت هذه الأشعة حجب الظلام ، فكان المؤمنون أعداداً لا تتجاوز بحال ضعف أصابع اليد ثم توالت البشارات ، ونزلت الإنذارات ، وزاد عدد المصدقين حتى كان الجهر بالدعوة ، وقبلها كان إنذار العشيرة الأقربين [1] ومن ثم إنذار الناس كافة : ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الحجر : ٩٤] ثم بدأت المعركة مع الجاهلين ، والتي استمرت ثلاث عشرة سنة ، بأحداثها وبآلامها ، وبالهجرات الابتدائية .. إلى الحبشة .. إلى الطائف .. ولكنها _ أي هذه الهجرات كانت ذات نتائج محدودة في مسار الدعوة، فهجرة الحبشة حفظت المسلمين من الأذى ، وهجرة الطائف أنتجت إسلام عداس ، وجن نصيبين .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :" لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ؛ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب،فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، قد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني مَلَك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد : فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين"،فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا" [2].

ثم انطلقت الدعوة خارج مكة ، ولمجرد ثباتها في المدينة بدأت تتحرك في الجزيرة العربية قاطبة بالغزوات مع قريش فى بدر وأحد والخندق ، وأنهت غزوات قريش إلى أن غُزِيَت في فتح مكة ، وأخرج اليهود من الجزيرة فحوربوا في المدينة وفي خيبر .. فقد جاءوا لنصرة النبي المرتقب فلما

---

(١) انظر كتابنا : " الدعوة في العشيرة الأقربين " قيد الطبع .

(٢) رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥/ ١١١) .

ظهر كفروا به وحاربوه وخانوا عهودهم معه ، ثم خضعت الجزيرة ، وأخمدت حركات الردة بعد وفاة الرسول ﷺ ، وحصل الصدام مع أعظم قوتين الفرس والروم ، وسارت الدعوة من نصرٍ إلى نصر على يد الصحابة رضوان الله عليهم ، ولما انتهى جيل الصحابة ، حمل الأمانة التابعون ، وتابعو التابعين ، والذين جاءوا من بعدهم . وسارت الدعوة في خطين متوازيين :

الأول : الفتوح التي فتحها الله تعالى للمسلمين و لم يكونوا ليحلموا بها لكن كانوا مصدقيها من قول الرسول ﷺ " طويت لي الأرض ... إلخ الحديث " فانتشر المسلمون مجاهدين من الصين إلى حدود فرنسا وداخلها ، وكان النصر حليفهم من البر والبحر ، حتى سادوا الدنيا وطوعوها .. وقعوا في الفتن وتجاوزوها ، وأصبحت الدنيا طوع أمرهم وتحت ظل سيوفهم .

الثاني : طريق الدعوة : ما كان للإسلام أن ينتشر هذا الانتشار لو أن خطاً واحداً اتبعه وهو القتال ، لكن الله عز وجل حبب الإسلام إلى نفوس الناس فدخلوه طوعاً دون إكراه ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ** ﴾ [البقرة :٢٥٦] .

فقد توسعت رقعة أرض الإسلام في زمن الوليد بن عبد الملك إلى أقصى ما يمكن أن يقع في حقبة تاريخية قصيرة .. وصل الصين ، ودخل أوربا وطوع أسبانيا ، اخترق مسلمة بن عبد الملك داخل آسيا في بلاد الترك ، ووصل محمد بن القاسم الثقفي إلى الهند ، ودانت الممالك والشعوب والقبائل ، وبرزت أسماء من التابعين كقتيبة بن مسلم الباهلي ، وموسى بن نصير ، ومسلمة بن عبد الملك ، ومحمد بن القاسم الثقفي ، ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها ، وأوقف سليمان الفتح الذي لم يعد بإمكانه السيطرة عليه بعد أن انساح المسلمون في الدنيا ، ثم جاء عمر بن عبد العزيز ففتح قلوب العباد بسيرته الطاهرة وسلوكه الطيب ، وعدله وإنصافه ، فاستقرت الفتوح ودخل الناس في دين الله أفواجا ، و لم نسمع عن ثورات من شعوب وجدت أن فتح الإسلام قهراً لها ، أو إذلالاً ، ومضت سنة الدعوة في الآفاق ، فدخلت شعوب في الإسلام ما عرفته قبلاً ، ولا رأت جيشاً ولا حملت سلاحاً أو حمل عليها ، دخلت طائعة راضية ، ومازال هذا الدين يقبل في كل يوم الجموع الكثيرة ، تدخله وتدافع عنه ، وتذود عن حياضه ، باليد وباللسان وبالقلب ، وبكل الوسائل المتاحة .

إن صفاء الإسلام واستمراريته واستمرارية تنزيله والوصول إلى السنة الصحيحة ، واجتهاد المجتهدين قد جعل الناس يندفعون إليه كحق من الله منزل على عباده ، لم يعتريه تحويل ولا تأويل ولا تقصير ولا تطويل . وبذلك فقد اكتسبت الدعوة في الإسلام موضعاً لا يقل في حال من الأحوال عن المجاهدة بالسيف والناس . فإن دعوة المثل والقول باللسان ، والسلوك الطيب ،

وكذلك الخلوص إلى فطرة الإنسان ؛ أبقت الدعوة طريقاً واضحاً وجلياً ، ومؤثراً ومنتجاً ، ومع كل الأسلحة التي استخدمت لتوقف هذه الدعوة فإنها وبكل ثبات وبكل قوة دخلت قلوباً فلينتها، وقادتها ، وعرفتها بالحق المبين .

الدعوة إلى الله لاقت استجابة كبيرة من المدعوين ، وتناوب هؤلاء عن غيرهم هم هذا الدين وحملوا إلى أمم وشعوب أخرى كان لها الدور المؤثر في ذلك .

– أما من حيث الامتداد ، والانحسار ، فإن أرض الإسلام تعرضت في تاريخها الطويل إلى امتحانات ونكسات ، وحروب – أقل ما يقال فيها أنها حروب إبادة – غزا العالم الإسلامي من المشرق المغول والتتار ، وغزاها من المغرب الصليبيون والاستعمار الحديث ، واليوم تتعرض لهجمة أخرى أعظم شراسة،وأوجع فتكاً بالفكر والسلاح والإعلام والعسكر والاختراعات المدمرة .

جاء المغول والتتار من الشرق ، وارتكبوا مجازر ما تحدث عن أبشع منها التاريخ واجتاحوا أراضي استقر فيها الإسلام وهنأ ، وامتد واتسع ، فكان هؤلاء قمة الوحشية في تدمير الحضارة التي وصلتها أمة الإسلام في تاريخها الذي سبق هذه الهجمات .. مما تحقق ما ذكره الرسول ﷺ من الفتن والدمار . لكن أصالة هذه الدعوة ، وعمق جذورها وتفرع أغصانها ، وطيب ثمرها وشجرها .. جعل أمر هؤلاء الغزاة حماة له ، ومدافعين عنه وساعين لنشره بالوسائل المتاحة . وليقرأ من شاء تاريخ هذه الهجمات ، وتاريخ هذا التحول ، الذي جعل المهاجمين حماة الإسلام ودعاته والمدافعين عنه ، لم يكن ذلك مقتصراً على المغول والتتار ، فإن القبائل التركية ، والشعوب الأخرى في آسيا استكانت واستأنست وحملت الإسلام ، ودافعت عنه ، ومازالت عند خروجها من المحن تجأر إلى الدين وتستعين به للوصول إلى أهدافها وغاياتها .. وكانت هذه الشعوب امتداداً للحضارة الإسلامية ؛ التي أسامها التوحيد ، والعبادة والطاعة ، والدعوة لله . والتاريخ طويل ولا يمكن أن نحمله بأسطر أو صفحات ، إنه تاريخ طويل استغرق القرون والسنين ، واستهلك الأمم والشعوب وتجاوز المضلين والضالين ، وبقي الإسلام نقياً كما كان .

أما الهجمة الأولى من الغرب الصليبي ، فقد دامت أكثر من مائتي عام ، دخلت الأرض المقدسة التي قدسها الله تعالى ولكنها أخيراً خرجت ، وحملت معها التقدم العلمي ، والبحث العلمي ، والحضارة المتقدمة المتطورة ، والكشوف الجغرافية لترسي بهذه المبادئ أسس الحضارة الصناعية الحديثة . وتمكنت أقوام من المسلمين أن تمتد في أرضها ، وترسي قواعد الإسلام في أوربا، ومازالت تلك القلة (الطائفة المؤمنة من المسلمين) تتحرك باسم الإسلام ، وتبني قواعده وأسسه وتقاوم بجبروت وصبر كل ما فعله أولئك الغازون .

إن حقبة الاستعمار الغربي الذي تمكن مجدداً من العودة إلى الإسلام ، ومكث ما يقارب مائتي عام أيضاً ١٨٣٠ ـ ١٩٩٠م أن يرسي أسس حضارته في أرض الإسلام لكنه عاد مجدداً مخذولاً محسوراً ، ليخلف العداوة لمولود جديد خرج من ضئضئه ، وهو الولايات المتحدة ، التي تحاول الآن أن تفعلها ثانية بشن حرب ضروس على الإسلام والمسلمين ، متخذة ذرائع وحججاً بثتها هي فينا ، وأيدتها وغمتها ، وكذلك الإشارة إلى تخلي الكثير من المسلمين عن إسلامهم واللحاق بهذا العدو الجديد .

المهم أن الإسلام تمكن أن يتخلص من كل هؤلاء وغيرهم ويبقى على عقيدته وإيمانه ويقينه ، غير عابئ بما جرى ، وبما سيجري فإن الله معنا . مع إسلامه ، مع رسالة نبيه ، مع عبيده المؤمنين .. والله نرجو أن يكون قريباً .

الذي تحقق مع انتشار الإسلام في أمم الأرض ، والرؤيا الصادقة التي نراها الآن .. زحف الإسلام إلى الغرب .. ودخول الغربيين في دين الله ، رغم ترصد اليهود ليوقعوا بين المسلمين والنصارى ، واستمرائهم خلق الفتن والحروب بينهم ، ونجاحهم بالتآمر والكذب والخديعة ، ومحاربة أي تقدم يمكن أن يستفيد منه المسلمون ، رغم كل المعوقات ، ورغم كل السلبيات التي تحصلت بين المسلمين ، لكن الإسلام عاد ليطرق الآذان ، ويخترق الحجب ليدخل في القلوب ، يثير العقول،ويدفع الناس إلى القبول المطلق لهذا الدين .. من أهله الذين هجروه ، ومن الناس الآخرين ؛ والشيء الآخر ، فإن قيام حضارة الإسلام الروحية الإلهية المتميزة ، صبغت شعوباً كثيرة في مشارق الأرض ومغاربها بسماتها وصفاتها وأسسها وقيمها وتوحيد معتقداتها وعباداتها ، ونبذ الشرك والشركيات ، والانحراف عن طريق السقوط الإنساني في حمأة الحيوانية ، وترفع الإنسان بخلقه ودينه وتعاملاته الكثيرة والمستقرة والواعية لطبيعة البشر وطبيعة الإنسان ، الذي عاش في خضم ضغوط الجاهلية التي بدأت الدعوة إليها ، قد أعطت الإنسان المسلم صفات حضارية راقية ، ميزت أمة الإسلام عن سائر الشعوب ، إن الأرض في آسيا وأفريقيا وأوربا التي ترعرعت عليها الحضارة الإسلامية،ونمت،وأينعت وأثمرت، كان لها في الحياة البشرية غيرية كاملة عن حضارات الوثنية ، أو الضلال وهذه الحضارة رعتها الروحانية ، والإيمان ، والتوحيد ، والسلوك الإسلامي الجيد .

- سار الإسلام واللغة العربية جنباً إلى جنب ، واقتصرت العبادات اللفظية على العربية في الصلاة والحج والدعاء ، وقراءة القرآن ، فكما حملت الشعوب الإسلام فإنها أيضاً تحولت إلى دارسة ، وعالمة ، وناشرة لغة العرب ، وارتبطت أسماء لامعة من غير العرب في دراسة اللغة وقواعدها ، وفقهها ، ومشتقاتها ، وأدبها ، وشعرها ، وهذه الأسماء تولت المحافظة والتطوير ،

ووضع المناهج لمتعلم اللغة العربية ونشرها مستوحية فيضها من القرآن الكريم الذي اختارها لتكون وعاء الإسلام ، ومع بعض الجهل في أمور الإسلام ، في عصور قاتمة مظلمة ، وانحسار تعلم العربية لكنه في أوقات أخرى ، ومناسبات أخرى ، وشعوب أخرى ، قد طورت وتعلمت وعلمت وأبدعت في علوم اللغة ، واستمرت اللغة العربية ، حيث لا يقبل الإسلام من المسلمين - وهم الأكثرية الآن من غير العرب - على قبول القرآن بلغاتهم ، قبلوا بعضاً من معانيه ، لكنهم في صلاتهم يحفظونه ويرددونه ويرتلونه . وبذلك فقد بقيت اللغة العربية قائمة ، دائمة ، قادرة على الاستمرارية والثبات والانتشار .

ويجد المسلم - من غير العرب - في تعلمها قربى من الله تعالى ، وبأنه يستطيع أن يتلو ويفهم كتاب الله تعالى ، ويعرف معنى أحاديث رسول الله . أي يعرف دينه ، ويفهم معتقده ، ويحسن ويتقن أداء فرائضه وواجباته ، وأي مسلم في هذه الدنيا يحفظ فاتحة الكتاب ؛ لأنها تتلى في الصلوات كلها - على الأقل .

دعا الإسلام إلى العلم والقراءة والكتابة ، وبذلك فقد كان انتشار الإسلام نقلة خطيرة في حياة الشعوب ، العرب أولاً ، ومن اعتنق الإسلام من الشعوب الأخرى ثانياً ، ومنذ فجر الإسلام بدأ التخصص بالعلوم بدأ بتدوين القرآن ، وحفظ حديث رسول الله وبذلك فقد شغل الإسلام الأمة والأمم الأمية بالتعلم قراءة وكتابة وحفظاً وتدويناً . فكان أول هؤلاء كتبة الوحي وحُفّاظ القرآن الكريم ، أمران .. أخطر ما عملته الأمة الأمية .. وتوجهت الهمم لهذين الأمرين العظيمين في حياة رسول الله ، وانتشر التعليم بشكل كبير وبشكل واسع ، وبدأ التخصص فيه ، تخصص الكتاب للقرآن الكريم ، تخصص القراء للقرآن الكريم ، فخصص علماء العربية لمعرفة معنى التنزيل ، وكان النبي ﷺ الأعلم بكل هذه ، فكان يراجع القرآن مع جبريل في رمضان من كل عام ، ويرتب ويقدم ويؤخر حسب التوجيهات الربانية التي يحملها جبريل عليه السلام ، وفي آخر عام من حياته ﷺ راجعه مرتين ، واطمأن لرسمه وترتيبه ، ومعانيه ، وناسخه ومنسوخه ، وتكفل أصحابه بدراسة أسباب التنزيل ، وربط الأسباب بالمسببات ، وبدأ التخصص في أهل الصفة لحفظ حديث رسول الله ﷺ ، وتدوين بعضه [1] ، وبرز عدد من العلماء الأجلاء كل في اختصاصه ففي التفسير والحديث برع عبد الله بن عباس ، وفي علوم القرآن المختلفة علي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ، وفي الحديث أبو هريرة ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً .

---

(١) لقد تم تدوين بعض الأحاديث في حياة الرسول ﷺ كما تفيد الأخبار والمرويات بذلك .

هذه أمثلة بسيطة جداً ونحيل القارئ إلى أولئك الذين درسوا القرآن ودرسوا التفسير ، ودرسوا القراءات ، ودرسوا .. ثم الذين حفظوا أحاديث رسول الله ﷺ ونشروها في الآفاق إذ ورثهم جيل أكثر منهم رغبة وغيرة على دين الله ـ كتاب الله وسنة نبيه ـ وبرعوا أيضاً بحفظ أخبار الصحابة والفتوحات والأحداث الجسام التي أصابت دولة الإسلام . و لم يمض القرن الهجري الأول ، إلاّ وقد أينعت علوم الإسلام وتخصصاتها المختلفة . وأصبح العلماء أكثر عدداً ، وأعلى نسبة بين المسلمين جميعاً وبدأ التدوين منذ القرن الثاني الهجري . في علوم الدين أولاً .. علوم القرآن ـ التفسير ، الحديث ، الصحاح والسنن والمسانيد والمستدركات ، وجاء علم الفقه ليبين للناس أمور دينهم ، خاصة وأن المسلمين كثروا ، وكان منهم العرب وغير العرب .. الفرس والروم والترك والبربر والديلم والنصارى واليهود وكان القرن الثالث الهجري ذروة الأداء العلمي الديني وصاحب تدوين علوم الشريعة من المفسرين والمحدثين والفقهاء ، علماء التاريخ والرجال ، والعلوم الاجتماعية والإنسانية والذاتية ، وخاصة الشعراء .. الذين كثروا في العهد الراشدي ومن العجيب أن باب الغزل كان أكثر باب في عهد الصحابة . وبرع شعراء غزليون خلدوا حبهم وغزلهم تحت سمع وبصر صحابة رسول الله ﷺ .

وفي القرن الرابع بدأت العلوم المترجمة تفد على المسلمين فانتشرت الفلسفة وعلم الكلام وظهرت الفرق الفكرية ، ذات الثقافة الواسعة ، وكان لظهور الفرق الفكرية والسياسية مؤيدون علماء ينافحون ويجادلون ، ويدافعون ، فبرز علماء وعلوم جديدة ، ما عرفها العرب قبلها .. ثم جاءت علوم الدنيا من الفلك والحساب والرياضة والكيمياء والتشريح والعلوم المختلفة ، والتي كانت نقلة حضارية .. إذ تمكنت الحضارة الإسلامية من استيعاب العلوم الإنسانية – اليونانية والهندية ، والهلنسية والزرادشتية .. وكل ما سبق الإسلام من علوم حتى علوم النصارى واليهود ، ونقلوها بأمانة إلى العالم ، حيث استفادت الحضارات اللاحقة بهذه النقلة الخطرة ، وكذلك هذه العلوم التي لولا الإسلام لبادت ، وذهبت . لكن حضارة الإسلام حفظتها وطورتها وقدمتها هدية متواضعة للعالم الحديث الذي بنى كل إبداعاته عليها وبشكل كبير .

أما عن العلوم الإسلامية ، أو التي ارتبطت بالإسلام كالعربية والفلسفية ، والتصوف ، وعلوم الإنسان والحيوان والنبات فقد تطورت تطوراً هائلاً ومتقدماً بشكل ملحوظ،ونستطيع أن نقول وبكل اطمئنان بأن العلوم الإسلامية بقيت متداولة حتى القرن الثامن عشر بدءاً من كلمة اقرأ – بداية التنزيل – في القرن السابع ، وكان محور العلوم كلها مرتبطا بشكل ما بالعلوم الإسلامية .

مازالت آثار العلوم الإسلامية متداولة وبشكل كبير في جميع لغات العالم سواءً أوربا أو المشرق، أو آسيا ، أو أفريقيا .. وآثرت العربية على لغات المسلمين جميعاً ، فكتبت هذه اللغات بالحرف العربي . والمتداول الآن في العالم الرقم العربي وعند العرب الرقم الهندي ولو أن اللغة التركية تفلتت بردة ماكرة لتكتب بالحرف اللاتيني .

– تشكلت نتيجة انتشار الإسلام خارطة عرفت بخارطة العالم الإسلامي ، وقد تحدثنا عنها في بداية بحثنا ، وهذا العالم ، وهذه الأرض يغلب على سكانها المسلمون ، عدا أن الإسلام هو الديانة الثانية في أكبر التجمعات البشرية في العالم ، في الصين ، في الهند ، في أوربا كلية ، من روسيا إلى أسبانيا . والآن قفزت الديانة الإسلامية لتكون الثانية في أمريكا .. ومازال الإسلام في تقدم ، واعتناق الناس له،وكذلك بالتوالد المتنامي ، إضافة إلى عودة المسلمين إلى دينهم وبشكل ملحوظ ، لم يكن ذلك على الأقل في بدايات القرن الماضي .. ولكنه الآن يتقدم وبشكل واسع وأكيد في جميع أنحاء العالم . فالمسلمون في زيادة ، وسواهم في تناقص رغم كل المضادات له والساعية لإيقاف انتشاره وتطوره .

– الحرب سجال .. والعالم كل العالم بأممه المختلفة بين مد وجزر مد بالحروب والانتصارات والاختراعات ، وجزر بالتخلف والجهل والتقليد ، مد بالقوة والسلاح والتجمعات وجزر بالتفرقة والضعف والتشرذم .. مد في البحث عن القوة والتقدم ، وجزر بالخنوع والتبعية والانهزام . ولو ألقينا نظرة فاحصة على العالم اليوم لوجدنا أن المسلمين في خانة الجزر ، وليسوا في خانة المد .. تجزئة ، وضعف ، وتخلف ، وتشرذم ، وانهزام .. وقوة كبرى فتحت فاها لابتلاع عالم الإسلام بما فيه من خيرات ، وبما فيه من ثروات ، وبما فيه من روح الحضارة ــ بترول أو معادن ــ وهذه سنة الكون . صحيح أننا في مؤخرة الركب ، ونعيش على فتات الأقوياء ، وهزمنا شذاذ الآفاق ، ولكن ... ولكن ... الله معنا ، وسيدفع عنا غائلة الأعداء وكيدهم ومكرهم .

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾ [الأنفال] .

﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ [آل عمران] .

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾

[النساء :١٠٤]

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) ﴾ [الأنبياء] .

خـــاتمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين وبعد ..

وأنا أكتب هذه الخاتمة .. أكون قد طويت عاماً كاملاً ونيف وأنـــا أحـــاول أن أســتدرك موضوعات هذا البحث ، وكلما ظننت أنني قد وفيته ، وجدت أن أموراً كثيرة مرتبطة به ومـــع الرغبة بالاختصار الشديد .. إلاّ أنني طويت لبحث آخر فصولاً كنت قد أعددتها لتكون من صلب هذا الموضوع خاصة عن طرفي الصراع الآن بين حملة لواء الإسلام وبين أعدائه .. وتفنيد أحـــوال هؤلاء الحملة ، وكذلك الوصول إلى نوايا أولئك الأعداء الذين تكاثروا ، ونكالبوا ودعا بعضـــهم بعضاً في محاولة للقضاء على هؤلاء الحملة ، مهما كانوا مسالمين .

إن الحديث عن أمة الخير طويل وممتع ، لما تتمتع به أمة الإسلام من مزايا وخصال خصها الله تعالى بها ..نعم .. إن كثيراً من الخصائص يشارك ببعضٍ منها غيرها من الأمم،وهي مستمرة بالطبع من توجيهات الأنبياء الذين أرسلوا لهذه الأمم،وإذا فقدت بعض السمات عن هذه الأمم ، فلكونها انحرفت عن تعليمات أنبيائها ومرسليها ، والله تعالى قص على نبينا بعض أخبارهم والآخـــرون لم يقصصهم : ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾ [غافر : ٧٨] وبذلك فإن سمات أرادها الله تعالى في الآدميين قد بقيت، وبعضها زالت ، وبعضها لم يعمل به . ويكون بذلك قد تساوى في جميع الرسالات مزايا الخير والإيمان،والتوحيد ، ولكن ترك العمل بها ، أو تحريـــف هذه الرسالات قد أجاز اللاحقون الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وبعض المحرمات الـــتي حرمت عليهم .. وبعض الأمم قد اتخذت التيار المعاكس تماماً لدعوات الأنبياء والرسل . ألم يهلك قوم لانتشار عادة اللواط عندهم وأرسل الله لهم رسولاً مكث فيهم زمناً طويلاً ، ثم خـــرج مـــن بينهم مع عدد محدود من الذين اتبعوه ، وربما من أهله وهلكت معهم زوجته ، ونرى اليوم مدعى الانتساب إلى رسالات الأنبياء يحيون هذه العادات بقوانين وقيم ، ولا يعاقب عليه أحد . أم تمنع الرسالات السابقة الزنا وأتباعها اليوم يعتبرون الزنا من المباحات،والتي يأتونها علانية وبدون حرج .. ألم يكن الأنبياء جميعاً قد دعوا إلى توحيد الله تعالى بالألوهية والربوبية ودعوا أقوامهم لعبـــادة الله تعالى وتوحيده . واليوم أشرك الأتباع بالله وعبدوا أنبياءهم ونسبوهم إلى الله تعالى ذرية وولدا ..؟

أليست قيم الأخلاق التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام ، وجاء محمدﷺ ليتممها : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [(١)] وكان القرآن الكريم الوعاء الصافي لهذه المكارم . كما قالت عائشـــة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ : " كان خلقه القرآن " [(٢)] ..

أليس وأليس ؟! تكراراً لكل الفضائل التي أرادها الله تعالى بهذا المخلوق وأكد عليها بالرسالات المتتابعة المتلاحقة ، وبالأنبياء الذين تواجدوا مجتمعين مثنى وثلاث ورباع وأكثـــر مـــن ذلـــك ،

---

(١) أحمد ٢/٣٨١ .

(٢) أحمد ٦/١٦٣ .

ومتفرقين في زمان ومكان محددين تماماً ، وكلهم جاءوا لأقوامهم بأوامر الله تعالى التي أمر أنبياءه عليهم السلام بالدعوة لها . فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر ... واسترسل الأتباع باتباع الشهوات والمنكرات ، وترك الفضائل والمباحات ؟ من هذا المنطلق أردت أن أقف على صفات أمة الإسلام ، حيث إن الله تعالى اختارها من بني آدم جميعاً ومن الناس جميعاً من بدء الخلق إلى نهايته لتكون هي فقط خير أمة أخرجت للناس .

في الواقع إن تسويد كل هذه الصحف في هذا المجال .. لهو القول الحق عن هذه الأمة، ولا بد في الواقع أيضاً من إجلاء هذه الصفات ، وتبيانها إذ إن أمة الإسلام وحدها التي تمكنت من أن تحافظ على صفات الخير التي أرادها الله تعالى فيها وبذلك فقد اكتسبت لقب الخيرية وصفة العلو والسمو على سائر الأمم .

قد أكون قد قصرت بإبراز صفات يحق أن تبرز وذلك لحاجة البشرية إليها الآن،في وقت أصبح بإمكان الإنسان في مكان وقد ملك القوة أن يبيد الآخرين وبأعداد هائلة في لمحة البصر،وتمكن الإنسان أن يفتح أيضاً أمام الإنسان آفاقاً وإبداعات ما عرفها السابقون، وكلها -- كما يدعي المبدعون – لخير الإنسان ولهنائه ولسعادته،وإذ بالكثير منها قد انقلب غماً وهماً على بني البشر لأن العلم هذا قد بني على ضلال، وعلى عقيدة مادية بحتة بعيدة عن رسالات الرسل ومنهج الله تعالى .

إن السعي لفرز الخير من الشر والواضح وضوح الشمس في رسالة الإسلام،رغم بعض التجاوزات والانحرافات،فإن منطوق القرآن الكريم،ومنهج محمد خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام ﷺ هو الذي يمكن له أن ينقذ البشرية من الدمار،والانحراف ، وتحقيق خلافة الإنسانية في الأرض . وبذلك فقد صنفت هذا الكتاب في مجال الدعوة إلى الله تعالى من طاعته بقوله جل وعلا : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[النحل : ١٢٥] .

عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال رسول الله ﷺ :" أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ! إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نسبا ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً " (١).

وبذلك فإن خير أمة أخرجت للناس أرسل لها خير الناس ، وخير الكتب ، واختارها الله تعالى لهداية الناس والشهادة عليهم .. فيحق لنا إجلاء هذا الأمر أكثر فأكثر والله أرجو أن يكون ذلك شعاعاً من نور للحديث عن خير أمة أخرجت للناس .

١/ ١٢ / ١٤٢٣ هـ

عمان في ١ / ٢ / ٢٠٠٣م

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٣٢) وقال : " حسن " والإمام أحمد .

المراجـــع

- القرآن الكريم

- كتب التفاسير :

- سيد قطب : في ظلال القرآن - دار الشروق .
- وهبة الزحيلي : التفسير المنير - دار الفكر - دمشق .
- محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن - دار إحياء التراث العربي .
- ابن كثير : تفسير القرآن الكريم .
- الفخر الرازي : التفسير الكبير .
- الطبرسي : البيان في تفسير القرآن .
- تفسير النفسي : تفسير الخازن .
- تنوير الأذهان في تفسير روح البيان : دار العلم_دمشق ١٤٠٨ هـ .
- الإمام الشوكاني : فتح القدير.

كتب الحديث :

- الإمام البخاري : صحيح البخاري .
- الإمام مسلم : صحيح مسلم .
- الإمام ابن حبان : صحيح ابن حبان .

كتب السنن :

- الإمام أبو داود : السنن .
- الإمام الترمذي : السنن .
- الإمام النسائي : السنن .
- الإمام أحمد بن حنبل : المسند .
- الإمام مالك بن أنس : الموطأ .
- الهندي : كنز العمال .
- ابن عساكر والبيهقي والدارقطني والدارمي وغيرهم وردت في متن الكتاب .
- ابن القيم الجوزية:زاد المعاد في هدي خير العباد،تحقيق،شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة.

obeikandl.com

- ابن هشام : السيرة النبوية – دار المنار – القاهرة .
- ابن كثير الدمشقي : البداية والنهاية – إصدار دار الفكر – بيروت ١٨٩٦م .
- ابن منظور : لسان العرب – قاموس – دار صادر – دار بيروت .
- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون والمبتدأ والخبر .
- أحمد حسن الزيات وآخرون : المعجم الوسيط – دار الدعوة – إستامبول .
- أعلام الحضارة العربية الإسلامية : وزارة الثقافة السورية – دمشق ١٩٩٥م .
- أحمد بن مصطفى : مفتاح السعادة .
- د . جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – مكتبة المتنبي – بغداد .
- دائرة المعارف الإسلامية:عـــدد مـــن الكتاب الغربيين والباحثين والمحققين المسلمين .
- الرشاد : مجلة فصيلة ثقافية – تصدر عن مركز دراسات الثقافة والحضارة / أمريكا .
- السهيلي: الروض الآنف في شرح سيرة ابن هشام .
- سالم يفوت: تكامل العلوم العقلية والشرعية عند ابن حزم .
- صفي الدين المباركفوري : الرحيق المختوم – دار السلام – الرياض ١٩٩٤م .
- د. ظافر القاسمي : نظام الحكم في الإسلام في الشريعة والتاريخ الإسلامي – دار النفـــائس ١٩٨٥م .
- د. عبد الرحمن الصابوني : أحكام الطلاق في الفقه الإسلامي – دار القلم – الإمـــارات – ١٩٨٧م .
- د. عبد الله علوان : تربية الأولاد في الإسلام – دار السلام – القاهرة ١٩٨٧م .
- د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان : أزمة العقل العربي – المعهد العالمي للفكر الإســـلامي – فرجينيا – أمريكا .
- د. عبد المجيد النجار : مباحث في منهجية الفكر الإسلامي – عبد المجيد النجار – دار الغرب الإسلامي ١٩٩٢م .
- محمد بن عبد الوهاب : في عقائد الإسلام .
- الشيخ محمد الغزالي : فقه السيرة النبوية .
- د. منير محمد غضبان : فقه السيرة النبوية ، جامعة أم القرى ، دار الوفاء مصر .
- مراد هوفمان : الإسلام عام ٢٠٠٠ – دار الشروق .
- مجلة المجتمع الكويتية : العدد ١٤٤٦ محرم ١٤٢٢هـــ .

- المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر .
- محمد عبدالله الزركشي: إعلام الساجد بأحكام المساجد - وزارة الأوقاف - الإمارات .
- مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن - مقدمة بقلم محمد رشيد رضا .
- د. محمد عمارة : معالم المنهج الإسلامي - الأزهر ، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي - فرجينيا - واشنطن .
- مركز دراسات الوحدة العربية : هجرة الكفاءات العربية .
- د. محمد رأفت عثمان : رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي ـ دار القلم .
- د. منير العجلاني : عبقرية الإسلام في الحكم .
- ونستك وآخرون : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .
- د. يوسف القرضاوي: المبشرات بانتشار الإسلام ـسلسلة رسائل ترشيدية .

كتب وبحوث للمؤلف ياسين محمد غضبان ومنها :

- مدينة يثرب قبل الإسلام : دار البشير ج١ من تاريخ الأنصار السياسي ١٩٩٤م .
- حاضر العالم الإسلامي : دار البشير ط٢ ـ ١٩٩٧ .
- المسجد في تخطيط المدينة العربية الحديثة : بحث منشور في مجموعة بحوث المؤتمر الثامن للمدينة العربية - الرياض ١٩٨٦م .
- الدعوة في العشيرة الأقربين : قيد الطبع .
- مقدمة الوجيز في التاريخ الإسلامي : قيد الطبع .
- صفة كتاب الله في كتاب الله : قيد الطبع .
- نساء في حياة خاتم الأنبياء : قيد الطبع .
- نساء في حياة خاتم النبيين : قيد الطبع .

obeikandl.com